من ذكريات ٥ حزيران ١٩٦٧
الفرح .. عندما يخون !

محمود درويش

فصل من كتاب عن تجربة محمود درويش

الاسرائيلية ، سينشر تباعا في شؤون فلسطينية

١

علموك أن تحذر الفرح ، لان خيانته قاسية . من أين يأتيك فجأة ؟

تغزوك الايام بذكريات لا تشبهك . كنت خارجا ، لتوك ، من الخامس عشر من أيار . وكنت عاجزا عن الالتصاق بالاشياء التي ابتعدت عن مسام جلدك. وقد مات جدك الذي أوصيته بمراقبة الرابية المطلة على مصادر موته . أخوك يحب الخطابة ، فوقف على البكاء ووعد الجنازة القادمة بأنها ستكون اكثر حظا من الاولى . لم تبلغ الثلاثين ، ولكن محاذاة الموت تعطيك الحكمة . ومن الحكمة الا تبدو عاطفيا في حضرة الاخرين .

تنتهي مدة الحزن المحددة في تصريح سفر . تنسل من الجنازة الثانية وتعد أهلك بالعودة لزيارتهم في جنازة قادمة . فهذه هي المناسبة الوحيدة للحصول على اذن بالحركة . ما أشد العلاقة بين الموت والحركة . وكنت خارجا ، لتوك ، من ذكرى الخامس عشر من أيار . كنت مسرعا الى البيت لا لتسبق الشمس الغاربة ، وانما لتهرب من الاضواء المتفجرة من الشوارع في عيد مصرعك التاسع عشر .

ماذا قالوا لك في المرة الاخيرة ؟

خياليون .. خياليون أيها العرب .

وفي كل ليلة ، من كل عام ، في مثل هذا اليوم يتجدد انتحارك الذي لا يشعر به أحد . الانتحار غالبا ما يكون مظاهرة . ولكن انتحارك سر . يهبط عليك يوم ، يثقب جلدك وينتشر في عظمك رويدا رويدا كزلزال صغير لا ينتهي ، ولا يكبر ، ولا تنفجر .

الانفجار — هذا ما يشغل بالك . تنتظر هذه النهاية منذ عشرين سنة ، ولا تأتي . لان حالتك لا تفهم ولا تصل . ما أسهل أن تكتب قصيدة تجهض الانفجار . وما أسهل أن تحاور خصمك لتثبت ماذا ؟ أن لك حقا ؟